شعب "تشام": مسلمون عاشوا في اليونان

بقلم سعيد إبراهيم كريديه

ينتمي شعب "تشام" الى العرق الالباني ومكان تواجده الاصلي هو منطقة "إبيروس Epirus" التي تقع على الحدود بين ألبانيا واليونان والمطلة على البحر الايوني مقابل جزيرة "كروفو Corfu" اليونانية، واسم هذه المنطقة بلغة تشام هو: "تشامريا Chameria".



كيف دخل هذا الشعب في الاسلام ولماذا خضع للحكم اليوناني وما حل به الان، كل هذه الاسئلة سناحول الاجابة عنها في السطور التالية.

اصل شعب تشام:

لا يعرف بالضبط بدء الوجود الالباني في منطقة ابيروس، فبعض المصادر تذكر ان هجرة الالبان الى تلك المنطقة بدأت في اواخر القرن 13 وبداية القرن 14، وتولد من اللغة الالبانية عدة لهجات كان منها لهجة شعب تشام التي ميزتهم عن اقرانهم في الشمال.

اعتناق شعب تشام الاسلام:

خضعت منطقة أبيروس للحكم العثماني في القرن الخامس عشر فدخل عدد من سكانها في الاسلام وبقي آخرون على الارثوذكسية، وعرفت تلك المنطقة باسم "تشامريا". وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دخل المذهب البكتاشي الى البانيا وانتشر في جنوبها بما في ذلك منطقة تشامريا.

ومع تطور الفكر القومي في القرن التاسع عشر لعب مسلمو تشام دورا في تطور النهضة الوطنية لالبانيا حيث تراس بعضهم نوادٍ ثقافية وجمعيات وطنية تدعو لاقامة دولة البانية مستقلة.

الحكم اليوناني 1913-1923

بعد هزيمة العثمانيين في الحروب البلقانية 1912-1913 تقاسمت منطقة ابيروس كل من الدولة الوليدة الجديدة ألبانيا ومملكة اليونان، فأخذت الاولى المنطقة الشمالية والثانية المنطقة الجنوبية التي كان يقطنها عدد كبير من شعب تشام. وعند خضوع هذا الشعب للحكم اليوناني أعطي حق الاختيار بين الجنسية اليونانية او التركية العثمانية، فاختار معظم افراده المواطنة اليونانية. هذا الخيار وضع شعب تشام في اليونان طبقا لقانون هذا البلد تحت فئة الاقلية الدينية بدل الاقلية القومية فادرج الارثوذكس منهم عند اجراء الاحصاءات مع الشعب اليوناني الارثوذكسي بينما اعتُبر المسلمون أقلية لها وضع خاص.

وخلال تلك الفترة فقد البكاوات تشام سلطتهم السياسية التي كانوا يتمتعون بها خلال العهد العثماني، لكنهم حافظوا على نفوذهم الاقتصادي. وفي عام 1915 جرت

انتخابات تشريعية فاز المسلون بها بمقعدين من اصل 3 مقاعد مخصصة لمنطقة أبيروس.

التبادل السكاني بين تركيا واليونان وانعكاسه على شعب تشام، 1923-1926:

بعد ان وضعت الحرب التركية اليونانية اوزارها (1919-1922) وقعت الدولتان معاهدة لوزان التي نصت على تبادل السكان بين البلدين على اسس دينية حيث يتم نقل مسلمي اليونان الى تركيا وارسال اليونانيين الارثوذكس في تركيا الى اليونان، وطبعا طبقا لقانون الدولة اليونانية فان على المسلمين من شعب تشام مغادرة البلاد الى تركيا. امام هذا الواقع قدم بعض الساسة في اليونان اقتراحين: الاول هو تبادل مسلمي تشام مع اليونان الارثوذكس المقيمين في تركيا والثاني مبادلتهم مع الاقلية اليونانية في ألبانيا، لكن الاخيرة رفضت الاقتراح الثاني. ومن المؤسف ان الساسة والحكام ينظرون احيانا الى الشعوب وكانها بضاعة او منتوجات يمكن اتمام صفقات من خلالها غير عابئين بالعامل الانساني لها ومتجاهلين تاريخها ومشاعرها ووجدانها التراثي. وهكذا اضحى مسلمي تشام جزءاً من عملية التبادل السكاني حيث كان معظمهم يربط هويته بدينه الاسلامي بدل اصله العرقي او القومي. لكن ألبانيا وايطاليا كان لهما موقفا مغايرا لحكومة أثينا فشددتا على الجانب العرقي لمسلمي واعتبرتهم مواطنين ألبان، فردت الحكومة اليونانية عام 1925، أي بعد عامين من بدء تنفيذ عملية التبادل، بقرار ملتبس معلنةً ان عملية التبادل لن تشمل "المسلمين ذوي الاصول الالبانية" وقد عرفت هؤلاء بالذين ولدوا في ألبانيا او ولد آبائهم في ألبانيا، وهذا القرار بطبيعة الحال يستثني عددا لا بأس به من مسلمي تشامريا اليونانية حيث تم استثناء 1700 مسلم من التبادل واجبر 2993 آخرون على ترك مناطقهم والرحيل الى تركيا حيث حل رحالهم في كل من استانبول وبورصه، مقابل ذلك استقر في قراهم في اليونان حوالي 16000 لاجئ ارثوذكسي اتوا من الاناضول. كما عمدت الحكومة اليونانية الى مصادرة كل املاك مسلمي تشام من دون المس بأي من املاك تشام الارثوذكس.

فترة "ثيودوروس بانغالوس Theodoros Pangalos"، 1925-1926:

وفي حزيران من عام 1925 قام بعض الضباط بقيادة "ثيودوروس بانغالوس Theodoros Pangalos" بالاطاحة بالحكومة اليونانية والاستيلاء على مقاليد الحكم في البلاد. وكان "بانغالوس" ألباني الهوى يتكلم اللغة الالبانية ويفتخر بأصوله الالبانية، فوضع في اوليات سياسته الخارجية قضية تحسين العلاقات بين ألبانيا واليونان وحماية حقول اقلية تشام المسلمة في اليونان والاقلية اليونانية في ألبانيا، فقرر عند استلامه الحكم وضع حد للتبادل السكاني ووقف ترحيل البان تشامريا الى تركيا وعدم هجرة اليونان الارثوذكس من الاناضول الى تشامريا بل الى منطقة تراقيا الغربية في شمال شرق اليونان كما كان مقرراً اصلاً. ومن جهة ثانية اعتبر "بانغالوس" ان تشام هم أقلية عرقية، ووعد بفتح مدارس ألبانية في منطقة تشامريا.

الانقلاب على "ثيودوروس بانغالوس Theodoros Pangalos" وعودة التمييز ضد شعب تشام، 1926-1936

لم يدم "بانغالوس" طويلاً في الحكم، ففي آب من عام 1926 وقع انقلاب ضده بقيادة "بافلوس كونتوريوتيس Pavlos Kountouriotis" وازيح عن الحكم مما أعاد الموقف اليوناني السلبي من شعب تشام الى سابق عهده.

ففي عام 1927 ألغت الحكومة اليونانية 4 أوقاف من أصل 9، كما حرمت مسلمي تشام واقليات اخرى من الجنسية في حال تركوا البلاد، كما قامت في العام التالي بتحويل اسماء اكثر من 100 قرية ألبانية الى اسماء يونانية.

فترة حكم الدكتاتور "اوانس متاكساس Ioannis Metaxas"، 1936- 1941:

تعتبرالسنوات الممتدة من عام 1936 ولغاية 1941 من الفترات العصيبة في تاريخ شعب تشام في اليونان حيث خضعت البلاد لحكم دكتاتوري كان على راسه الجنرال "اوانس متاكساس Ioannis Metaxas" فمورست العنصرية القومية على كافة الاقليات في اليونان فمنع افرادها من التكلم بلغتها الام وفرضت العقوبة الجسدية على كل من يتكلم لغته الام في المدارس او في الجيش كما ادخلت اللغة اليونانية في كل مدارس البلاد واجبر المسنون الذين لا يعرفون اليونانية على تعلمها في مدارس ليلية.

الحرب اليونانية الايطالية، 1940-1941:

في نيسان من عام 1939 قامت ايطاليا باحتلال ألبانيا، وفي أيلول من نفس العام اندلعت الحرب العالمية الثانية فكانت ألمانيا وايطاليا التي عرفت بدول المحور ضد بريطانيا وفرنسا التي عرفت بالحلفاء. وخلال الحرب العالمية الثانية هاجم الايطاليون اليونان من الحدود الالبانية في تشرين الاول من عام 1940، فردت اليونان باعلان "قانون الحرب" على ايطاليا وممتلكاتها الاستعمارية بما فيها ألبانيا، وهذا ما سمح بمصادرة املاك الاقلية الالبانية بما فيها تشام باعتبارهم من المتعاونيين مع جيش الاحتلال. ومن جهة اخرى تمكنت القوات اليونانية من دحر الايطاليين واستعادة بعض الاراضي التي احتلوها.

التدخل الالماني واقتسام اليونان بين المانيا وايطاليا وبلغاريا، 1941-1944:

أمام هذا الواقع تدخلت ألمانيا لمساندة حليفتها ايطاليا وشنت هجوما بمشاركة بلغاريا على الاراضي اليونانية في نيسان 1941 وتمكنت الدول الثلاث من احتلال كامل التراب اليوناني برا وجزراً واقتسام هذا البلد فيما بينها، وكانت تشامريا تحت السيطرة الايطالية تعاون سكان منطقة تشامريا مع ايطاليا والمانيا ولم يلقوا منهما العنصرية والسلبية التي مارستها اليونان عليهم. وفي ايلول من عام 1943 استسلمت ايطاليا ووقعت الهدنة مع الحلفاء فاحتلت ألمانيا كل المناطق اليونانية التي كانت بحوزة الايطاليين بما فيها تشامريا. وفي ايلول من عام 1944 بدأت القوات الألمانية بالانسحاب من اليونان تحت وطأة تقدم الجيش السوفياتي في البلقان مما يجعلها معزولة عن مؤخرتها في وسط أوروبا، وفي تشرين الاول من انسحبت المانيا من أثينا فدخلها قوات المقاومة اليونانية ثم القوات البريطانية فيما بعد.